أحمد النحوي (حياته وشعره)

م. م. مهدي عبد الامير مفتن
جامعة بابل/ مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

المقدمة

الشاعر احمد النحوي احد شعراء الحلة الكبار الذين تربعوا على عرش الشعر في هذه المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، ولكن لم تسلط عليه الأضواء بالدراسة والتحليل ولم يأخذ المساحة الكافية من نتاج الكتاب والدارسين، وقد حاول الباحث ان يتناول هذه لشخصية بشئ من التفصيل في حياته وشعره، لذا اقتضت خطة البحث ان تنقسم على مبحثين وخاتمة.

تحدثت في المبحث الأول عن حياة الشاعر وامتهانه الخياطة وتلقيبه بها وتفاصيل ذلك وعن شاعريته ومكانته بين الشعراء وذكر أقوال العلماء الذين أشادوا، أما المبحث الثاني فقد تحدثت عن الموضوعات الشعرية التي طرقها الشاعر في شعره من غزل ومدح ورثاء وتخميس وتشطير وتفريط وجاء في الخاتمة أهم النتائج والأمور التي توصل إليها الباحث والتي وردت في ثنايا البحث.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين

المبحث الأول

اسمه: –

هو ابو الرضا احمد بن الشيخ حسن بن علي الحلي النجفي المعروف بالنحوي وبالشاعر.

لم يشر احد إلى موضوع ولادته في أي سنة، غير انه ينحدر من بيت عربي أقام بالحلة زمناً وتوطن النجف دهراً ومن هنا جاءت شهرته بالحلي والنجفي، ثم بعد ذلك رجع إلى الحلة وهو من بيت يضم سلسلة من اساطين العلم وأعلام الأدب، نبغ منهم في أوائل القرن الثالث عشر في النجف غير واحد وتعرف بقيتهم وأحفادهم إلى اليوم في النجف ببيت الشاعر، وكانوا يترددون بين النجف والحلة [١].

كان الشيخ احمد يحترف الخياطة في بداية أمره فلازم لقب (الخياط) كما لازم في كبره لقب (النحوي) و(الشاعر)، قال أستاذه السيد نصر الله الحائري أبياتاً يمدحه بها ويشير إلى مهنته ومنها قوله: –

(وقص) حديث المكرمات (مفصلاً) لســـــــان نداه عند كل فقير

وقد ضاق (ذرعا) عن بيان مديحه لسان يراعـى وهو غير (قصير)

أساتذته: –

يعد السيد نصر الله الحائري الفائزي (١١٦٨هـ) من أبرز أساتذة الشيخ النحوي على الإطلاق فقد كان السيد الحائري عالماً جليلاً ومحدثً أديباً وشاعراً خطيباً وكان من أفاضل أهل العلم بالحديث متبحراً في الأدب والتاريخ حسن المحاضرة جيد البيان طلق اللسان ماهراً طلق اللسان ماهراً في العربية، وكان شخصية لامعة في عصره [٢]، مما دفع بالشيخ النحوي ان يشد الرحال إلى مدينة كربلاء والتتلمذ على السيد الحائري كمل شد أليه الرحال كثير من العلماء والأدباء أمثال السيد صادق الفحام الأعرجي والسيد مير حسين الرضوي وغيرهم.

ومن أساتذته في النجف أيضاً محيي الدين الطريحي (ت١١٥٨هـ)[٣] الذي يقول عنه صاحب النشوة ((كان في العلم قدوة وصدراً، وأجرى من ينبوعه بتحقيقه نهراً، ان نثر فالدر نثاره وان نظم فاقت العقود أشعاره))[١] وقد رثى الشيخ النحوي احد أولاد الشيخ الطريحي بقصيدة وعدد عشرة علماء من آل طريح وارخ عام وفاته ومطلعها: –

---

(١) ينظر أعيان الشيعة٨/١٣، شعراء الحلة ٣٧/١، أدب الطف ٣٠٢/٥.

(٢) أدب الطف٢٥١/٥، شعراء الحلة ١م٣٨.

(١) نشوة السلافة ص ٢٨، أعيان الشيعة ١٥/٨، البابليات ١٦٥/١.

لا غرو ان فاضت عيون عيوني وعلت بسح دم شجون شجوني
وتصاعدت حرقي ودام على المدى قلقي وطال لما اجن حنيني
إلى ان يقول: –
من نسل آل طريح القوم الأولى تتلى مآثرهم ليوم الدين
علماء علامون بان علاهم بالذات واستغنى عن التبيين
إلى ان قال مؤرخاً: –
والدهر أعلن بالنداء مؤرخاً المجد مات لموت محيي الدين[٢]

وقد عد الشيخ السماوي في الطليعة والسيد الأمين في الأعيان الشيخ النحوي من تلامذة وشعراء السيد مهدي بحر العلوم ومحسوباً من ندمائه[٣]، هذا القول فيه نظر لأنها لا تتفق وحقيقة الحال لأن ولادة السيد بحر العلوم كانت وسنة ١١٥٥هـ ووفاة النحوي على المشهور سنة ١١٨٣هـ وعلى قول صاحب الكنى والألقاب سنة ١١٧٣هـ كما سيأتي، فيكون عمر السيد يوم وفاة النحوي ١٨ سنة أو ٢٨ سنة وفي ذلك التاريخ لم يشتهر اسم السيد والحق ان الذي يحسب من ندماء السيد وتلامذته محمد الرضا النحوي ابن الشيخ النحوي[٤] وقد عد محمد حرز الدين في معار فالرجال الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء النجفي من أساتذته وهذا الكلام فيه نظر أيضاً بأن الشيخ جعفر ولد سنة ١١٥٤هـ وفرق السن بينهما كبير جداً ولا أعلم من أين جاءت هذه الشبهة ولعل معاصرته للشيخ كاشف الغطاء والسيد بحر العلوم والمكانة العلمية التي يتمتعان بها وانتقال الشيخ إلى النجف الأشرف؛ وراء هذه الشبهة فعدوه من تلامذتهم ولكن هذا الكلام لا يستقيم كما قلنا لفرق السن الكبير بينهما.

مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه: –

نال الشيخ النحوي مكانة بين أقطاب العلماء ورمقه الكثير من الشعراء، وكان من أئمة الأدب معروفاً عند العامة والخاصة بالفضل والتوغل في العلوم العربي وآدابها وقد وصفته بعض المصادر بأنه ((عالم كلما، محدث، فقيه، نحوي، لغوي، عروضي، قد بلغ من أفضل الغاية، وجاوز من الكمال النهاية، اخذ من كل العلوم النقلية والعقيلة ما راق وطاب، ورزق من الإطلاع على غرائبها ما لم يرزق غيره، والله يرزق من يشاء بغير حساب))[٥].

وقال عنه عصام الدين العمري الموصلي ((الشيخ احمد النحوي الحلي الأديب الذب نحا نحو سيبويه وفاق الكسائي ونطويه، لبس من الأدب برود، ونظم من المعارف لئالئاً وعقوداً، صعد إلى ذروة الكمال وتسلق على كاهل الفضل إلى أسنمة المعال فهو ضياء فضل ومعارف وسناء وعلم وعوارف...))[٦].

وقال عنه صاحب نشوة السلافة ((اطلع من الأدب على الخفايا وقال لسان حاله (انا ابن جلا وطلاع الثنايا)))، تروى من العربية والأدب ونال منها ما أراد وطلب له نظم منتظم يضاهي ثغر الصبح المبتسم، ومن جيد نظمه هذه القصيدة مدحني بها أولها: –

برزت فيها شمس النهار تستري خجلاً ويا زهر النجوم تكدري
فهي التي فاقت محاسن وجهها حسن الغزالة والغزل الأحور[٧]

---

(٢) نشوة السلافة ص ٢٨.
(٣) اعيان الشيعة ٨ /٢٨، شعراء الحلة ٧٨/١.
(٤) الطليعة ٤٥/١، أعيان الشيعة ١٣/٨، شعراء الحلة ٣٧/١.
(٥) البابليات ١٦٧/١.
(٦) نشوة السلافة ص٢٨.
(٧) أعيان الشيعة ١٤/٨، البابليات ١٦٥/١، شعراء الحلة ٣٨/١.
(١) نشوة السلافة ٥٨.

وذكره المحقق الكبير أغابزرك الطهراني في كتابه (الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة) بقوله ((كان من العلماء الفضلاء الأدباء المعاصرين للسيد نصر الله الحائري، ورأيت بخطه كثيراً من تملكاته ورأيت بخطه كثيراً من تملكاته ورأيت بخطه القصيدة الكرارية للشيخ شريف الكاظمي التي ونظمت سنة١١٦٦هـ ومعها ثمانية عشر تقريظاً لشعراء عصره))[١].

وهذه العبارة الأخيرة (ثمانية عشر تقريظاً لشعراء عصره) دلالة على دور النحوي في نمو الحركة الأدبية وريادتها، فكثيراً ما كان يقوم بالدعاية الأدبية وخلق روح المنافسة في معاصريه من الشباب والكهول وكذلك ما خلقه في نفوس أبنائه من ملكة الشعر وتنمية مواهبهم، وما كان يمثله مجلسه الذي كان بمثابة (مدرسة سيارة) أينما حل أو ارتحل أو في بيت معاصره السيد بحر العلوم، فلذلك نجد ان عصره امتاز بكثرة الإنتاج الأدبي وتقوية روح الحب للعرب والعروبة.

وذكره معاصره السيد صادق الفحام الأعرجي عندما وقف على قصيدته التي تبلغ خمسين بيتاً وكل بيت منها تاريخان فقرضهما الأعرجي بقوله: –

فرقان (احمد) اعجاز مثانيـــــه سـما وليس له ضد يساميـه

من كان كذب دعوى احمد سفها الان صحت له دعوى تنبيـه[٢]

وطلب منه معاصره الشاعر المجيد السيد حسين بن مير رشيد الرضوي الحائري مشجره من شعره فنظمها وبعث بها إليه، فأجابه السيد الرضوي بمقطوعة شعرية منها:

اشكر الرحمن ذا العرش (واحمد) إذ حبانـي منه اللطف وأيـــــد

ماجد للجود اضحى علمـــــا بفنون الفضل في العلـم تفـــرد

كاتب أقلامـه قد طـاولـــــت عذب الخطـي والعضب المهنـــد

قد حبـاني منه نظماً رائقـــاً كل بيت منه للأحسـان معهـــد

يا أديباً ان تراءت غايـــــة فلعلياه لـواء السبق يعقـــــد

حسن تظمينـك النظـم الـــذي شنفا الاسمـاع الدرر المنضـــد

ازريـا بالمتنبي إذ همـــــا أنبئا بالصدق عن معجز (أحمد)[٣]

أولاده:

أعقب النحوي ثلاثة أولاد مشهورون وهم الشيخ محمد رضا والشيخ محمد هادي الذي يسمى في بعض المصادر (هادي) والشيخ حسن ويطلق عليه أيضا (محسن) وقد وهم صاح معارف الرجال فعد للشيخ النحوي حسنا ومحسنا[٤]، وهم في الحقيقة شخص واحد كما واحتمل صاحب الأعيان ان الشيخ حسن هو والد الشيخ احمد النحوي وليس ولده ولكن لو كان كذلك لذكره معاصره صاحب (نشوة السلافة). والظاهر انه توفي قبل اخويه بكثير لأنه غير مكثر من النظم وليس له ذكر في الحلبات الأدبية التي خاضها أخواه في أوائل القرن الثالث عشر الهجري مثل معركة الخميس وما شاكلها[٥].

ويوجد من آل النحو في القرن الثاني عشر الشيخ حمزة النحوي ولكن لا يعرف صلته بالشيخ أحمد وهل هو من أولاده أو احفاده[٦].

آثاره:

(٢) ينظر شعراء الحلة ٣٩/١.

(٣) البابليات ١٦٣/١.

(٤) البابليات ١٦٤/١.

(٥) معارف الرجال ٦٠/١.

(١) ينظر: البابليات١٧٥/١.

(٢) المصدر نفسه ١٧٦/١.

له من الآثار العلمية والأدبية أرجوزة في علم البلاغة وشرح القصيدة الدريدية المشهورة وكتاب في الأدب اسماه (جذوة الغرام ومرنة الانسجام) في مختارات من الأشعار الحكمية والعرفانية، وديوان شعر مخطوط جمعه الشيخ السماوي من مصادر شتى وضم إليه ديواني ولديه الرضا والهادي والثلاثة في مجلد واحد وله ايضاً تقارير على كتب على بعض معاصريه كرسالة السيد شبر الحويزي[١]، وكتاب نشوة السلافة[٢]، وغيرها وله كتب في الفقه والأصول والكلام لم يعثر عليها.

وفاته:

توفي في الحلة سنة ١١٨٣هـ – ١٧٩٦م، ونقل إلى النجف الأشرف ودفن فيها وليس كما يقول صاحب الكنى والألقاب سنة ١١٧٣هـ[٣]، وقد رثاه جماعة من الشعراء منهم السيد محمد الزيني بقصيدة مطلعها: –

أرأيت شمل الدين كيف يبـدد ومصـائب الآداب كيف تجـدد

ويقول في آخرها مؤرخاً عام وفاته:

أظهرت حزني وقلت مؤرخـاً الفضل بعـدك أحمد لا يحمد[٤]

المبحث الثاني

شعره:

طرق النحوي اغلب الموضوعات الشعرية التي درج الشعراء على النظم بها، واختلفوا في المضامين والاتجاهات التي تسيطر على شعرهم فيها، وطبيعي إن الشاعر ينطلق في موضوعه الشعري من اتجاهاته الفكرية وميولاته العاطفية وأحاسيسه الداخلية وعلى الرغم من شعر النحوي لم يجمع في ديوان وانه قد فقد منه الشئ الكثير ولم يبقى منه إلا ما ذكره الأستاذ الخاقاني وما جمعه الشيخ السماوي[٥]، ولكن ما ذكره الخاقاني يعطي صورة واضحة عن تمكن الشاعر من صنعته وانه طرق اغلب الموضوعات في شعره وأدلى بدلوه فيها، إلا إن أبرز الأغراض الشعرية التي وصلت إلينا في شعره هي الغزل والمديح.

الغزل:

احتل الغزل في شعره المرتبة الأولى من حيث عدد القصائد والمقطعات، فقد أكثر من النظم فيه على الرغم من ضياع كثير من شعره في هذا الغرض بالذات[٦]، ولهذه الكثرة في شعره أسباب منها: –

١– شيوعه في عصره وفي أغلب العصور تقريباً ولأنه من الأغراض التي يتندر بها وجعلها وسيلة للتسلية وقد شاعت حتى بين أولئك المتدينين والذين بلغوا مراتب علمية عالية في العلوم الشرعية لا لشيء في نفوسهم سوى التسلية وبيان مدى قوة خيالهم ومقدرتهم على الوصف وتمكنهم من صنعتهم حتى وان لم يفضلوا اتصافهم بالشعر.

٢– التقليد الذي سار عليه أغلب الشعراء في مقدماتهم، حيث كانوا يفتتحون قصائدهم بالغزل، وهذه الافتتاحيات هي التي أدت على ازدياد نسبة الغزل في شعره وفي شعر اغلب الشعراء.

٣– ازدياد نسبة المقطعات في شعره، وهذه المقطعات أغلبها في الغزل وازديادها يرجع إلى بديهيتها وسرعتها وخفتها على النفوس والتسلي بها في المجالس وغيرها.

غزل النحوي جميل وعذب وفيه طرافة كقوله: –

---

(٣) ينظر معارف لرجال ٥٧/١.

(٤) نشوة السلافة ص٢٨.

(٥) الكنى والألقاب ٥٦/٢.

(٦) البابليات ١١٦/١. شعراء الحلة ٤٢/١.

(٧) لم استطع الحصول إلى (الآن) على هذا الديوان رغم محاولاتي المستمرة.

(٨) ينظر معارف الرجال ٦٠/١.

ان ورد الخـدود احسن وردا لا يليه الذبـول طول الحياة
كيف ورد الخدود يذبـل إذ يـ ـسقى من الثغر ميـاه الحياة

وكذلك قوله:

تملك رقي شـادن قد هويته من الهند معسول اللمـى اهيف القد
اقول لصحبي حين يقبـل معرضا خذوا حذركم قد سل صارمه الهندي[١]

ويتذكر الشاعر حبيبته التي كانت في بابل ويتذكر ايام الشباب ويبدو انه قالها وهو بعيد عن الحلة وعن مغانيها فيقول:

عطفا فديت يـا قضيب الأس فلقد قضيت ولـم اجد من آس
او ما ترى ضعفـي وعظم صبابتي مع ما اكابد في الهـوى واقاسي
سقم يزيد ومقلة تذري دمـا وجوى يضاهـي جذوة المقباس
إن كنت لم تعطـف علية بزورة فابعث خيالك في الكرى ياقاسي

إلى أن يقول:

من لي بضبـي بابلي أحـور قدحل بين جوانحـي بكناس
رشأ كحيل الطرف مهضـوم الحشى لجميع أنواع المحـاسن كاسي
كم بـات يسقيني المدام وطالما مزج الرضاب لنا بخمـر الكاس

ويختمها بقوله: –

لا نلت يوما من وصالك بغيتـي إن كنت يا أملـي لعهدك ناسي[٢]

ويكرر وصف حبيبته بالرشأ الكحيل فيقول:

فديتك من رشـأ اكحـل يفـوق لحظيه في أكحل[٣]

ويشكو الشاعر من الصد والهجران الذي يلاقيه من حبيبته فيذكر ذلك بقوله: –

هجرتم مغرمـا لـم يدر بالهجـران والصـد
قضـى في حبكـم وجدا وباع الغـي بالرشـد

إلى أن يقول:

صلوا وارثوا لمشتـاق حليف الدمع والسهـد
وان قاطعتـم المضنـى وختم سالف العهـد
فأنـي ذلك الخـل وودي فيكـم ودي[٤]

ويستعمل الشاعر الأسلوب القصصي في التعبير عن حبه وعن تدلل حبيبته وصدها عنه، فيقول مخاطباً الريح:

أي ريح نسمت نـاديتها يا شمالاً يا جنوبـا ياصبا
هل لديكـم خبر مما بنا قد لقينـا من نواهم نصبا

إلى ان يقول:

ثم قالت: يا شمـال خبـري مثلمـا خبرته أو أعجبا
ثم انتـي يا جنوب حدثـي مثلما حدثته أو أعذبـا
قالت الشمـال عندي خبر شاركت فيه الشمـال الأرنبا

---

(١) شعراء الحلة ٤٧/١.
(٢) المصدر نفسه ٦٦/١.
(٣) المصدر نفسه ٧١/١.
(١) شعراء الحلة ١٦٤.

كل سوء في هواهم حسـن وعذاب برضـاهم عذبا[١]

ويشبه جمال حبيبته بالنبي يوسف (عليه السلام) ويشير إلى ان حبيبه هو الذي يروم وصله وهذا بخلاف عادة الشعراء الذين يؤكدون ان الحبيب هو الذي يصد، فيقول:

هويته يوسفـي الحسن ذا هيف يروق في حبه في سمعـي العذل

يروم وصلي فيثنيـه تدلله عني فلا هو يجفوني ولا يصل[٢]

ويبالغ في وصف حبيبته فيقول:

غزال له روض القلـوب مرابع وصب دموع العـاشقين معين

مليح له قتلـة الصب راحة وفي بذل ماء الشـؤون شؤون

تدين البـدور المشرقات لحنه وكل البرايا فـي هواه تدين

بديع جمال يخجل الشمس ضـوؤه ويحد ليـن القد منه غصون[٣]

ويشبه ريق حبيبته بالرحيق ويقسم به، وهذا قسم في بابه، فيقول:

أما ورحيق الريق منـك وإنها يمين أمرئ في الحب ليس يمين[٤]

ويقسم كذلك بالهوى فيقول: –

أتظـن حبك ينسلـي لا والهـوى لا كان ذلك[٥]

ويركز في غزله على عيون حبيبته ولحاظها وانها هي التي تفتك به وبالمحبين، فيقول: –

ولرب ممشوق القوام سبـى أهل الغـرام بسحر عينيه

لام العواذل منه ما علمـوا أننـي قتيل سهام لحظيه[٦]

ويذكر لحاظ العين فيقول ايضاً:

لولا لحاظك والقـوام الأهيف ما بات طرفـي بالمدامع يطرف[٧]

ويؤكد عليه كذلك بقوله: –

رمى بسهم ورنـا واللحظ منـه مرضـي

قلت أصبت مهجتـي فقال هـذا غرضـي[٨]

ويشير إلى العواذل دائماً ويذكر لومهم له وهو يعتذر ويبين لهم هيمنة الحبيب عليه، وجماله الذي لا يستطيع أن يتغلب عليه فيقول:

يا عاذلي لو كنت شـاهدت حسنه ما كنت يوماً في هـواه تعنف

او ذقت يوماً رشفـة من ريقه – لاذقتها– لسباك ذاك المرشف[٩]

ويقول ايضاً: –

فيا ايها العذال في الرشـأ الذي محبته فرض علـي ودينُ

---

(١) المصدر نفسه ٤٦/١.

(٢) المصدر نفسه ٧٠/١.

(٣) المصدر نفسه ٧٧/١.

(٤) المصدر نفسه ٧٧/١.

(٥) المصدر نفسه ٦٩/١.

(٦) المصدر نفسه ٧٩/١.

(٧) المصدر نفسه ٦٨/١.

(١) شعراء الحلة ٦٦٣/١.

(٢) المصدر نفسه ٦٨/١.

دعوا العذل أني جننت بحبــه ألأم تعلموا ان الجنـون فنونُ[١]

المديح:

مدح النحوي مجموعة من الشخصيات، سأعرض لهم بشكل مختصر وهم:

١- مدح أهل البيت:

مدح الشاعر الأمام علي (عليه السلام)، ولكن لم يات المدح بقصيدة مستقلة وانما جاء في قصيدة واحدة وبشكل عرضي في نهاية القصيدة، قال فيها:

مجير أذا جار الزمان علـى الفتى اجـار وجور الدهر جالت كتائبه

كريم اذا وافيت يوماً رحــابه اتتك بــلا وعد تزف مواهبه

ويذكر سبب تسمية الأمام علي بهذا الاسم: -

علا في العلا فاشتق من اسمـه العلي وما زال في الـدارين تعلو مراتبه

ويقول ايضاً: -

فأصبح نور الله من نور عدلــه منيراً وليل الظلـم ناحت نوادبه

فطوبى لمن يهتــدي بضيائه فقد حاز إيمـاناً وزادت مواهبه

ويختمها بقوله: -

عليهم سلام الله مــا لاح كوكب علـى فلك ليلاً وما سارت كاتبه

وما زار مثواه محــب وما انثنى إلـى أهله تحدى إليه ركائبه[٢]

ووضع النحوي مقدمة لقصيدة الفرزدق في مدح الإمام السجاد (عليه السلام)، قال فيها: -

يا رب كاتم سر ليس ينكتــم والشمس لـم يمحها غيم ولا قتم

والحاسدون لمــن زادت عنايته عقباهم الخزي في الدنيا وإن عظموا[٣]

اما رأيت هشاما إذ أتى الحجر السـ ـامي ليلمســـه والنـاس تزدحم

فلم يفده وقــد سدت مذاهبه عنه ولم تستطع تخطو لـه قدم[٤]

ويستمر الشاعر بذكر الحادثة وكيف انفرج الناس عن الأمام السجاد (عليه السلام) ولا يوجد في الأبيات شئ جديد وهي مقدمة ضعيفة تخلو من الصور الفنية والجمالية.

وكذلك مدح الإمام علي بن موسى الرضا (علية السلام) بقصيدة أولها:

مهلا بحقك لا تزج العيســا قف نشف منهم بالوداع نفوسا[٥]

ولكن لم يتسن لنا الاطلاع على هذه القصيدة بكاملها والتي بلغت (٤٥) بيتاً، وكذلك مدح الإمامين العسكريين (عليهما السلام) وهو في الطريق إلى سر من رأى وقد نظمها بمشاركة ولده محمد رضا، فالصدور له وإعجاز لولده، جاء فيها:

ارحها فقد لاحت لديك المعــاهد وعمــا قليل للديار تشاهد

وتلك القباب الشــامخات ترفعت ولاحت علـى بعد لديك المشاهد

وقد لاحت الأعلام اعـلام من لهم حديث المعـالي قد رواه مجاهد

الى ان يقول:

---

(٣) المصدر نفسه ٧٧/١.

(٤) شعراء الحلة ٦١/١.

(٥) في الأعيان (وان رغموا) ينظر ١٥/٨.

(٦) شعراء الحلة ٨٥/١.

(١) ادب الطف ٣٠٨/٥.

بنى الوحي حاشا ان يخيب الرجا بكم وان ينثني في خيبة العقد قاصد[١]

٢- مدح أستاذه السيد نصر الله الحائري[٢]

الملاحظ في المدح النحوي لا يمدح أستاذه الا بأبيات قليلة مقارنة مع طول القصيدة ففي احدى قصائده والتي يذكر جامع شعره انها في مدح أستاذه الحائري والتي تبلغ (٤٦) بيتا فيها بيت واحد فقط قال فيه:

وان غالني منهم اخو الغدر باغيا فاني (بنصر الله) ان غال غالبه[٣]

وفي القصيدة الأخرى التي بلغت (٤٠) بيتا يمدحه بأربعة أبيات فقط يقول فيها:

هو الشهم (نصر الله) والسؤدد الذي لأمثاله تعنو القورم الأماثل

(ابا الفتح) نصر الله حسبك في العلا معال لها فوق الثريا كلاكل

أحطت بعلم لو يبث أقله على من على الغبراء لم يبق جاهل

سخي لو ان الغيث يحكي بنانه لما عاد يوماً نبته وهو ذابل[٤]

ماعدا أرجوزته التي بلغت (١٠٩) بيت فكلها في مدحه وجعل أعجازها من ألفية ابن مالك في النحو ويتجلى فيها مدى الخيال وقو الاستحضار والتركيز على مقاصد ابن مال، منها قوله:

شيخي (نصر الله) ذا المفاخر الطاهر القلب جميل الظاهر

سلالة الأمجاد نجل المصطفى وإله المستكملين الشرفا

ومنها:

وكم له عبارة سنية مقاصد النحو بها محوية

بجده ارتقى مكارما وما كالمصطفى والمرتقي مكارما[٥]

وهذه القصيدة تنم عن إمكانية عالية ودقة فائقة وتمكن من النحو وربط جميل بين مدح استاذه وبين الألفية ولعل هذا القصيد هي التي ادت إلى إطلاق لقب النحوي عليه.

٣- مدح السيد شبر الموسوي النجفي.

جاء هذا المدح عندما وقف النحوي على رسالة للسيد شبر في تحريم التمتع بالباكر فقال:

ماذا أقول بعالم متبحر ان طلت فيه رجعت جد مقصر

يقظ بأحكام الشريعة صادع بالحق خير محرف ومقرر

جار على نهج الإمام المرتضى يبدي خفايا فضلها لم ينكر[٦]

٤- مدح صاحب نشوة السلافة بقصيدة منها:

من آل موح شهب افلاك العلى وبدور هالات الندى والمفخر

وهم الغطارفة الذين لباسهم ذهل الورى عن سطوة الإسكندر

وهم البرامكة الذين بجودهم نسي الورى فضل الربيع وجعفر

لم يخل منهم ابداً مثل الأهلة بجباه الأعصر[١]

---

(٢) اعيان الشيعة ٨/٢٣-٢٤، ادب الطف ٥/٣٠٧-٣٠٨.

(٣) هو السيد نصر الله بن الحسين بن يونس بن جميل الحائري ينتهي نسبه إلى السيد ابراهيم المجاب، شخصية فذة في العلم والأدب ومرموقة في الأوساط، سجل له التاريخ مآثر لا تبلى وآثار لا تمحى، توفي مقتولا بالاستانة سنة ١١٦٥هـ، له ديوان شعر طبع في النجف ينظر شعراء الحلة ١/٦٠.

(٤) شعراء الحلة ١/٦٠.

(٥) شعراء الحلة ١/٧ ٠.

(٦) شعراء الحلة ١/٨٠.

(١) معارف الرجال ١/٥٧.

٥- مدح امير الحلة عبد الجليل بن سلطان بن الأمير يوسف بعدة قصائد طوال بالغ فيها بشكل كبير، منها:

له صارم لازال للهام صـارماً لماء الردى فـي جانبيه كمون
هو البرق إلا انه يمطر الدمـا اذا سار من نقع سحـائب جون
تخال دماء الشوس من وقعـة لهم لدى الحرب بحـراً والخيول سفين

وينزل بهذا المدح إلى درجة الاستجداء بشعره وطلب النوال، فيقول: -

إليك أخ العلياء مني مدى المـدى مدائـح ابكـار تزف وعون
عرائس افكار يبرق يبرقعهـا الحيا لها الحسن تـرب والبهاء خدين
لتطرد عني جور دهر بريبـة اراني فجـاج الأرض وهي شجون
اذا لم تعني في دفـاع صروفه فمن لـي على ريب الزمان يعين[٢]

٦- مدح نفسه، وجاء هذا المدح بنسبة لا بأس بها قياساً مع باقي انواع المديح فمن ذلك قوله:

ولست اخون الخل فـي صلب ما له وإن مسني فقر وأدمت مخـالبه
واجزي بإحسـان لمن كان مؤمناً وإلا بنكر ليس يحصـيه حاسبه
وعرض صديقـي مثل عرضي وست أذا ضن البخيل أعاتبـه[٣]

وكذلك قوله: -

وما عابني خلي سوى اننـي امرؤ إذا ما اساء الخـل لا اتتبع
ولا يزدهيني حب بيضـاء ناهد لا يطيبني الشـادن المتصنع[٤]

وكذلك يمدح شعره كقوله:

إليك أخ العلياء منـي مدى المدى مدائح ابكـار تزف وعون
عرائس افكار يبرق يبرقعهـا الحيا لها الحسن ترب والبهـاء خدين[٥]

وكذلك قوله:

إلى مرخص الأموال بذلا ليشتـري بذلك در المـدح وهو ثمين[٦]

الرثاء

يذكر صاحب الأعيان ان للنحوي في الحسين (عليه السلام) وغيره من الأئمة (عليهم السلام) مراث كثيرة، ولكن لم نجد له سوى قصيدة واحدة في رثاء الحسين وهي مشهور ة وطويلة بلغت (١٠٠) بيت منها يخاطب السبط الشهيد:

عجبا لحلم الله جل جلالـه هتكوا حجابـك وهو بالمرصاد
عجبا لهذا الخلـق لم لا أقبلوا كل إليك بروحه لك فـادي
لكنهم ما وازنـوك نفاسـة اني يقـاس الذر بالأطواد
اليـوم امحلت البلاد واقلعت ديم القطار وجـف زرع الوادي
ما بقيت من الهـوان على الثرى ملقى ثلاثاً في ربا ووهـاد
لكن لكي تقضي عليك صلاتهـا زمر الملائك فوق سبـع شداد

---

(٢) اعيان الشيعة ١٦/٨-١٧.
(٣) شعراء الحلة ٧٥/١.
(٤) المصدر نفسه ٦٠/١.
(٥) المصدر نفسه ٦٧/١.
(٦) المصدر نفسه ٧٥/١.
(١) أعيان الشيعة ٣٤/٨، البابليات ١٧٣/١

وتحدث صاحب البابليات ايضا عن مراثيه فقال وله في رثاء الحسين (عليه السلام) قصيدة ورائية طويلة من الكامل تنحط عن مستوى شعره ويظهر انها من نظمه في صباه، والعينية التي مطلعها: –

فؤاد باسياف الأسى يتقطــع وجسم باثـواب الضنى متلفع[١]

وهذه العينية ذكرها صاحب شعراء الحلة ايضا بتمامها[٢] وليس فيها ما ذكره صاحب البابليات من رثاء الحسين وهي في مجملها مدح لنفس الشاعر وفيها نصح وإرشاد.

وله قصيدة في رثاء شيخه محيي الدين الطريحي ويؤرخ فيها تأريخ وفاته يقول فيها:

فجعت لمطروق الجــناب ممنع مزجــت شراسته برقة لين

متواضع في حالتيــه وإن تكن تبدي المهـاب منه ليث عرين

فله المعارف والعلــوم وراثة وله رقيق الشعــر ملك يميل

أأضن كلا بالدمــوع لفقده اني بكسب الدمــع غير ضنين

إلى أن يقول:

والدهر أعلن بالنداء مؤرخــا المجد مـات بموت محيي الدين[٣]

وله قصيدة جميلة فيها طرافة يرثي فيها هرة اسمها شذرة واسم امها بريش فماتت شذرة فقال يرثيها ويعزي امها:

اشذر لم ذبت ولم تعــودي فبعـدك جف بعد الين عودي

لمسنا الفراش ليس نــراك فيها وفتشناك فــي كل المهود

فقدنا ملمس يحكي حريــراً ولونا مثل ألــوان الورود

فمن ذا يدافع الفيــران عنا ويحرسنــا من الجرذ الشديد

ألا يا (بريش) أصطبـري عليه فكم للناس مــن ولد فقيد[٤]

التخميس والتشطير والتقريظ

من مميزات القرون المتأخرة عصر الركود الأدبي التخميس والتشطير والتقريظ وقد اشتهر النحوي بهذا النوع من النظم، فخمس قصائد كثيرة منها تخميسه لقصيدة أمرئ القيس:

محب غادر العبرات سيــلا ولم يـدرك من الأحباب نيلا

ألم ترني اجوب القفار ليــلاً امر علــى الديار ليلا

أقبل ذا الجــدار وذا الجدارا

ديار التي لعبت بلبــي تهيج حسرتي وتزيد كــربي

شغفت بحبهـا من دون صحبي وما حب الديــار شغفن قلبي

ولكن حب من سكن الديــارا[٥]

وله تخميس قصيدة السيد نصر الله الحائري في مدح الإمام علي (عليه السلام) وتأريخ تذهيب القبة الشريفة عام ١١٥٥هـ، أولها: –

إلى كم تصول الرزايا جهــارا وتوسعنــا في لازمان انكسارا

(٢) البابليات ١/١٧٣.

(٣) ينظر شعراء الحلة ١/٦٦، ٦٧.

(٣) أعيان الشيعة ٨/٢٨.

(٥) المصدر نفسه ٨/٢٧.

(١) شعراء الحلة ١/١٠٠.

فيا من على الدهر يبغي انتصـارا اذا ضامك الدهر يومـاً وجار
فلذ فيه حمـى امنع الخلق جارا[١]

وله تشطير كثير ايضاً منه مشطراً قول قتادة بن إدريس (ت٦١٧هـ)

(بلاندي وان جارت علية عـزيزة) ولي نحـوها خوف الهوان رجوع
بها اكتسي ما عشت ثـوب مهابة (ولو انني أعرى بها وأجـوع)
(ولي كف ضرغام اذا ما بسطتهـا) تعلم منها الغيث كيف يريــع
وان كسدت سوق الهياج فإننـي (بها اشتري يوم الوغى وابيـع)[٢]

وله تقاريظ ايضا على كتب وقصائد، منها تقريظه (نشوة السلافة وحل الإضافة) للشيخ محمد علي بن بشارة الخاقاني: –

يا أخا الفضل والمكارم والسـؤ دد والمجـد والعلى والشرافه
والأديب الأريب والمصقـع المد ره رب الكمـال رب الظرافة
أي در أوعت في صدف الـطر س غدا الدر حاسـداً أوصـافه

إلى أن يقول: –

جئتها طاوي الحشـا فأضاقت نـي وقالت هذا محـل الإضافة[٣]

وله تقريظ القصيدة الكرارية للشيخ شريف بن فلاح الكاظمي، أولها: –

الفظك ام ازهار جنة رضـوان ومعنــاه ام آثار حكمة لقمان

إلى أن يقول: –

فحسبك فخرا ان مدحت اطالبـا بمدحــهم قد جاء محكم تبيـان
ومن كان للأطهار بالمدح خادمـا شيجزى في عدن بحور وولـدان[٤]

الخاتمة

النحوي شاعر كبير واب لشعراء كبار، ولو قدر لشعره ان يصل إلينا كاملاً لأستطعنا ان نقف على حقائق تاريخية وفنية في الوقت نفسه واستطعنا ان ندرس الشاعر دراسة فنية واسعة، ولكن الذي وصل إلينا أغلبه مقطعات وقصائد قليلة.

استطعنا من خلال البحث تسليط الضوء على أهم النقاط في حياة الشاعر وشعره، وأهمها:

١– احترافه مهنة الخياطة وتلقيبه بها.
٢– ذكر أساتذته في الشعر والأدب والمطارحات التي حصلت بينهما
٣– مكانته العلمية وتبوئه الصدارة على شعراء عصره.
٤– تحقيق عدد اولاده وذكر اسمائهم والشارة إلى الإختلاف الواقع في ذلك.

(٢) المصدر نفسه ٩١/١.
(٣) المصدر نفسه ١٠٢/١.
(٤) نشوة السلافة ص ٢٨–٣٠.
(٥) شعراء الحلة ٧٢/١.

٥- تسليط الضوء على غزله وذكر نماذج منه.

٦- استعراض الشخصيات التي مدحها الشاعر.

٧- استعراض رثائه مع التذكير على ان له رثاء كبير في أهل البيت (عليهم السلام) فُقد ولم يصل إلينا.

٨- اشتهاره بالتخميس والتشطير والتقريظ وله نظم كثير فيه ذكرنا نماذجاً منه.

المصادر

- ادب الطف أو شعراء الحسين، جواد شبر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان ط١، ٢٠٠١م.
- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي، ط١، مطبعة أبن زيدون، دمشق، ١٩٣٨م.
- البابليات، محمد علي اليعقوبي، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف، ١٩٥١.
- شعراء الحلة أو البابليات، على الخاقاني – دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٦٤.
- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، مؤسسة التاريخ العربي.
- معارف الرجال
- نشوة السلافة
- الطليعة من شعراء الشيعة
- الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة